

كورونا تفشاً بسببنا  
الرأي في إيران ...



## غوغل ودونكيشوت وكورونا

مرح البقاعي  
كاتبة سورية أمريكية

أعلنت واشنطن رسمياً حالة الطوارئ الوطنية، وخرج الرئيس دونالد ترامب في اليوم التالي للإعلان ليطمئن الشعب الأمريكي من طرف مناصريه، (وليتحيب آمال الطرف الآخر من خصومه)، معلناً نتيجة الفحوصات التي أجراها طبيب البيت الأبيض على حالته الصحية والتي أثبتت أنه خال من فيروس "كوفيد - 19" المعروف عالمياً باسم كورونا.

أما الولايات المتحدة القابعة ما وراء المحيط فقد دخلت منذ إعلان حالة الطوارئ الوطنية في عزلة كاملة عن جاراتها على الضفة الأخرى من الأطلسي في القارة الأوروبية بعد أن حظرت لمدة 30 يوماً على الأقل حركة الطيران المدني القادم إليها من دول القارة كافة، تلك الدول التي احتلت المرتبة الأولى لجهة انتشار الفيروس من حيث السرعة وعدد المصابين بعد أن احتسب الانتشار في الصين، منشأ الفيروس، بشكل ملحوظ. وإذا كانت حركة النقل البشرية قد أصيبت بالشلل الجزئي بين القارات، وهي ليست أفضل حالاً على مستوى البلد الواحد وبين الأحياء والشوارع في بعض المدن الأكثر تضرراً وصل إلى منع التجول الإلزامي فيها درءاً لخطر انتشار كورونا، فإن الحركة العالمية الأكبر الآن تجري عبر وسائل التواصل الاجتماعي حيث أدى العزل الاختياري أو الإلزامي للناس للجوئهم إلى المنازل تجنباً للاختلاط واحتمال العدوى، وأصبح التخاطب عبر الإنترنت هو الوسيلة الأكثر أمناً للتواصل والعمل عن بعد دون الاتصال المباشر بالأشخاص.

لقد كان الغياب الافتراضي للحدود نتيجة حتمية لنظام جديد معلوم واكب ظهور الإنترنت منذ بداية اكتشافه حين كان حركاً على القلة القليلة من المؤسسات والمراكز الحكومية، والرسمية، إلى أن أصبح اليوم مادة يومية متاحة كالماء والهواء، وحاجة خدمية مثل الحاجة للكهرباء والدواء، وغداً في متناول البشرية في أصقاع الأرض، وبأسعار يكاد كل فرد في العالم قادراً على تسديد فواتيرها. حملت العولمة أدواتها معها حين أخلت نظام القرية العالمية الواحدة الذي يلغي الحدود المعرفية بين أهل الأرض كافة، ويشجع الأفراد على عبور الحدود الجغرافية للتعرف وجها لوجه إلى الثقافات التي اجتازت الحدود الافتراضية إليهم بداية.

في مقدمة أدوات العولمة ومن أهمها كانت تقنية الإنترنت وما ولدت من أفكار خلّاقة تحولت بسرعة قياسية إلى مؤسسات عملاقة لخدمة البشرية كمحرك البحث غوغل، ومواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وإنستغرام وغيرها.. أما التسوق العولمي فحدث ولا حرج، وقد اتضحت قيمته خاصة في هذه الأيام من حال "الاحتباس المنزلي" الذي نعيشه خلال زمن جائحة كورونا. فالمتسوق عبر الإنترنت من الأسواق الرقمية العالمية الضخمة مثل أمازون وإيبه وولمارت ارتفع إلى أقصى

طاقته كما تشير أسهم هذه الشركات العابرة للحدود ضمن حركة أسواق المال، مقابل هبوط هائل في شركات أخرى كالطيران المدني نتيجة حظر السفر الذي أعلنه العشرات من الدول والتي أغلقت مطاراتها لمدة 15 يوماً على الأقل. وإذا كانت العولمة في بعدها الاقتصادي - من منظور أصحاب فكر الانغلاق والتقوقع على الذات - ليست سوى أداة في يد الدول القوية والمهيمنة بهدف السيطرة على الدول ذات القدرة الاقتصادية الضعيفة أو النامية لإخضاعها للسوق العالمية واحتكار مقدراتها من خلال الشركات الكبرى العابرة للحدود، فإنها وفي شقها التجاري والخدمي تعني أيضاً تبادل وانتقال الخدمات والمنتجات والسلع للمستهلك العولمي بيسر وأسعار تنافسية يفرضها السباق المتواصل بين المنتجين على كسب الزبائن من خلال خفض الأسعار.

### الغياب الافتراضي للحدود كان نتيجة حتمية لنظام جديد معلوم واكب ظهور الإنترنت منذ بداية اكتشافه حين كان حركاً على القلة القليلة من المؤسسات والمراكز الحكومية، والرسمية، إلى أن أصبح اليوم مادة يومية متاحة كالماء والهواء

كما أنها في شقها المؤسساتي والمالي تساعد على انتقال رؤوس الأموال بشكل مقنون، وضمن اتفاقات مرعبة، ودون حواجز أو عوائق، ما ساهم في تأسيس تجارة دولية حرة لعبت دوراً بارزاً في رفع المستوى المعيشي للأفراد، وفي توظيف الموارد الاقتصادية العالمية بأقصى طاقاتها، ناهيك عن انتقال الخبراء والمختصين بيسر بين المؤسسات المعولمة من أجل رفع سوية الخدمات وتبادل الأخصائيين وتحفيز الإنتاج العالمي. ولولا هذا الاقتصاد المعولم لما كان بالإمكان في ظروف كورونا والعزلة المنزلية المفروضة على الملايين من مواطني الدول الأكثر تضرراً بالجائحة، مثل إيطاليا وإسبانيا وإثيوبيا والولايات المتحدة، وكندا، من شراء حاجاتهم اليومية عبر الإنترنت دون مغادرة المنزل، وهذا ما نصحت به التعليمات الرسمية لمنظمات ومعايير الصحة المحلية والعالمية بالاعتماد على التسوق عن بعد تلافياً للتماس المباشر بين الأفراد في مراكز التسوق، ما بإمكانه أن يساعد في الحد من انتشار عدوى كورونا.

السياسية إلى نشر مبادئ وأصول الحياة الديمقراطية في الدول الأكثر تعصبا وانغلاقاً ودكتاتورية، وزعزت المستبدين في معقلهم، وساهمت في سقوط الأنظمة الظلامية والتوتاليتارية مبشرة بولادة مجتمعات ديمقراطية حديثة بمعاييرها العولمية، ولو كانت الولادة متعسرة في بعض الحالات كما حدث ويحدث في معظم دول "الربيع العربي" في الشرق الأوسط ولاسيما في سوريا وليبيا واليمن. ومن نافذة القول إن العولمة السياسية قد دفعت إلى قمة الاهتمامات الدولية، رسمياً وشعبياً، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمد في العام 1948 وتمت ترجمته إلى 501 لغة من لغات العالم كما تشير وثائق الأمم المتحدة، حيث أصبحت دساتير الدول الخارجة من نير الاستبداد والقمع والتغييب السياسي تُدرج مبادئه في دساتيرها الجديدة العصرية، بهدف إشاعة السلم والسلام العالميين من خلال تحقيق العدالة الإنسانية.

فصل المقال يكمن في إعلان الرئيس الأمريكي أن شركة غوغل تقوم بسرعة قياسية على تطوير موقع على شبكة الإنترنت يعمل عليه 1700 خبير ومهندس من فريق الشركة العملاقة بهدف تسهيل إجراءات اختبار الإصابة بفيروس كورونا للأميركيين، مستخدمة أحدث تقنياتها الرقمية، ريثما يتوصل العلماء إلى إيجاد علاج فاعل للفيروس، وقد تمت فعلاً أول تجربة بشرية للنسخة الأولى من لقاح كورونا في مخبر مدينة سياتل من ولاية واشنطن على أشخاص متبرعين، كما قامت غوغل بالشراكة مع منظمة الصحة العالمية" التابعة للأمم المتحدة ومركز "إعلام الخدمة العامة" في الولايات المتحدة بإعداد حملة على الإنترنت للتوعية وإصدار الإرشادات والإجابة على أسئلة الأفراد حول كل ما يتعلق بالوقاية من الإصابة بالفيروس والخطوات التي يجب اتخاذها لمن يشتبه بإصابتهم، وذلك في سابقة فاهمة يشترك فيها القطاع الخاص مع القطاع العام بهدف حماية الإنسانية من شر كورونا، ذلك العدو المجهول الذي نحاربه اليوم كما حارب في أمس القصي الفارس المغوار دوتكيشوت طواحين الهواء؛

## وقائع حرب النفط الجديدة وأبعادها الجيوسياسية

د. خطار أبودياب  
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوسياسية - باريس

ارتفعت أسعار النفط الخام، في 20 مارس، لليوم الثاني على التوالي، بعد تراجع حاد هذا الأسبوع، وجرى تداول مزيج "برنت" عند مستوى 30.12 دولار للبرميل. وحسب الخبراء، يعتبر هذا الارتفاع نوعاً من التصحيح للأسعار خاصة بعد إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أنه سيلعب في الوقت دور الوسيط في "الصراع بين روسيا والسعودية" في السوق النفطية، ورد الكرملين السلبى على الاقتراح الأمريكي مع فغبه وجود حرب أسعار مع الرياض!

بيد أن عدم التوافق على حصص الإنتاج وانعكاسات أزمة كورونا على مجمل الاقتصاد العالمي لا تسمح بإزالة المخاوف من انهيار في السوق النفطية لأن الأسعار لم تشهد هذا التراجع منذ حرب الخليج الأولى، ولأنه من الصعب كبح زيادة الإنتاج قبل اجتماعات "أوبك بلس" في يونيو القادم. وحرب الأسعار وحصص النفط الدائرة حالياً ليست الأولى من نوعها منذ سبعينات القرن الماضي، لكن تفاقمها يرتبط باندلاعها على خلفية أزمة كورونا والتنافس الحاد بين الولايات المتحدة وروسيا الأحادية والمملكة العربية السعودية على صدارة الإنتاج وتسيير دفة العرض والطلب. ومما لا شك فيه أن مكاسب هذه الحرب وخسائرها سيكون لها أبعادها الجيوسياسية وأثرها على توازنات إعادة تشكيل النظام الدولي.

تسببت جائحة "كوفيد-19" في تباطؤ الاقتصاد الصيني في بدايات هذا العام، لكن منذ أوائل مارس تأثر كل الاقتصاد العالمي إلى حد الخشنة كل كساد يشبه ما حصل في العام 2009. وهكذا في العام 2020 لا بد من تذكر نبوءة نابليون بونابرت "عندما تستيقظ الصين سيهتز العالم" ولو أنها تحققت على طريقة "عندما تهتز الصين يرتعد العالم". وهذا يطال السوق النفطية لأن هذا البلد هو "مصنع العالم" ويستهلك لوحده 14 مليون برميل من النفط الخام يوميا وتشير الإحصاءات إلى استيعابها 13 في المئة من إنتاج النفط العالمي. وهكذا سرعت أزمة كورونا من معركة النفط الجديدة التي كانت مؤجلة بين عمالقة الإنتاج للحفاظ على حصصهم السوقية ودورهم الريادي. بدأت الإحصاءات خلال اجتماعات أوبك وأوبك بلس في ديسمبر الماضي في فيينا، وحينها تمكنت بعض الدول بقيادة روسيا من انتزاع قرار بالاستمرار في تخفيض الإنتاج وفقاً لاتفاق 2016 لمدة ثلاثة أشهر فقط، وبما أن الاجتماعات الدورية لا تعقد إلا كل ستة أشهر، فرض هذا الوضع المؤقت عقد اجتماع استثنائي في مارس 2020.

ومن المفارقات والمفغرات، أنه بينما كان ينتظر الجانب السعودي هذا الاجتماع لتقييم وضع السوق واتخاذ القرارات الضامنة للسعر المناسب الزيادة أو تخفيضها في الإنتاج، قلب دخول فيروس كورونا على الجيوب وتداعياته الاقتصادية الأمور رأساً على عقب. لذا خرجت اللجنة الفنية المشتركة التابعة لأوبك بلس بتوصيتين: الأولى تمديد

اتفاق ديسمبر 2019 إلى نهاية 2020، والثانية خفض الإنتاج إلى يونيو بمقدار 600 ألف برميل يوميا. وتأتي التوصيات متطابقة مع الوقائع إذ تقدر وكالة الطاقة الدولية أن الطلب العالمي في الربع الأول من عام 2020 يمكن أن ينخفض بمقدار 2.5 مليون برميل يوميا، ولأن ثمة تقرير مشترك لهذه الوكالة ومنظمة أوبك يشير إلى أن انخفاض سعر البرميل تحت سقف 30 دولاراً لعدة أشهر سيؤدي إلى خسارة الدول النامية المنتجة للنفط بين 55 في المئة و80 في المئة من عائداتها من النفط والغاز هذا العام. مع كل العواقب الاقتصادية والاجتماعية التي ستنتج ذلك ومخاطر زعزعة استقرار عشرات البلدان، لكن كل هذه التقديرات لم يأخذها بالحسبان الجانب الروسي الذي رفض أي خطط جديدة لخفض الإنتاج خاصة ما تقرر في اجتماع 5 مارس حول القيام بتخفيض جديد قدره مليون ونصف مليون برميل يوميا حتى نهاية يونيو، منها مليون برميل يوميا من أوبك، ونصف مليون برميل يوميا من دول خارج أوبك. وجرى استدعاء وزير الطاقة الروسي الكسندر نوفاك إلى الكرملين على عجل.

### العالم التعددي المرتسم أمامنا وحاجات الأسواق العالمية هي التي ستحدد بوضوح الاتجاهات في السوق النفطية

ومن الواضح أن لوبي الصناعات النفطية الروسية بقيادة روسنت عطل الاتفاق، ولأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وجهها فرصة سانحة لتنفيذ وعيده بالانتقام من العقوبات الأميركية ضد خط "السييل الشمالي" الذي ينقل الغاز الروسي نحو أوروبا، وذلك باستهداف صناعة النفط الصخري الأمريكي وزيادة المتاعب بين واشنطن والرياض، بالرغم من تحذير الأمير عبدالعزيز بن سلمان، وزير الطاقة السعودي، من "اختراق البيت المشترك" بسبب عدم التوازن بين العرض والطلب في مرحلة التازم الاقتصادي والتدهور المستمر في الطلب على النفط. من جهته، برر الجانب الروسي موقفه في الفارق بين نهج الوزير السعودي الحالي وسلفه عبدالعزيز الفالح الذي أبرم اتفاق 2016 مع موسكو.

لكن "التعنت الروسي" في عدم احترام الحصص السوقية حسب أكثر من خبير سببه أن روسيا تعتمد كثيراً على مداخيل النفط والغاز في اقتصادها ولأنها تعول على موقعها العالمي ولأن تزايد الإنتاج من خارج أوبك إلى أكثر من أربعين في المئة أهدت الكارتل الأساسي للمصدرين بقيادة الرياض دوره الريادي التاريخي، خاصة مع تطور صناعة النفط الصخري الأمريكي منذ العام 2010. لقد فشلت المفاوضات بالرغم من أن كل الدول الأخرى في أوبك بلس كانت تدعم تخفيضاً إضافياً، بينما روسيا لا تريد ذلك. والغريب أنها تمسكت بتمديد الاتفاق من ديسمبر إلى يونيو. ولم تترك الباب مفتوحاً للمزيد من المفاوضات، وإعلان نوفاك أن الشركات الروسية ستنتج دون أي قيود ابتداء من أول أبريل، مما شكّل أول شرارة رسمية لاندلاع حرب الأسعار. إزاء "التصعيد الروسي" أتت الرد السعودي حازماً بعد حوالي 15 ساعة: تخفيض الأسعار الرسمية بين 4 و10 دولارات، وزيادة الإنتاج اعتباراً من أبريل إلى 12.8 مليون برميل يوميا. بالطبع أدى ذلك إلى هزات شبيهة بما حصل خلال الصدمات السابقة وسرعان ما خسرت أسعار النفط حوالي ثلث قيمتها، رافقها انخفاض كبير في أسهم شركات النفط وخسرت بعض شركات النفط الصخري حوالي 50 في المئة من قيمتها في يوم واحد. وهذا التحول في الإستراتيجية النفطية السعودية من الصمت

والرسائل الدبلوماسية إلى الفعل المعاكس يلبي حسابات المصلحة الوطنية أولاً نظراً للتنافس الحاد مع موسكو وواشنطن وتهديد موقع الرياض في سوق الطاقة والحصص السوقية للموطن الأصلي للنفط في الخليج. إذ حاولت واشنطن منذ عهد إدارة باراك أوباما الاعتماد على النفط الصخري للاستغناء عن النفط السعودي وتحجيم دور الرياض، أما عن موسكو، حسب مصادر مستقلة، فكانت منصبة على غزو الأسواق الآسيوية من خلال زيادة إنتاجها وتحطيم الصادرات السعودية المنخفضة، وأرشد استخدام الطاقة، وخفف من الآثار البيئية.

لكن الرسالة السعودية الأهم موجهة لبقية المنتجين بأنه لو أصبحت الولايات المتحدة أول منتج للنفط عالمياً تلتها روسيا، تبرز السعودية ورقة قوتها الحقيقية مع قدراتها الإنتاجية الفائضة وكلفة الاستخراج الرخيصة. ومن هنا، لأن تكلفة النفط الخليجي هي الأقل في العالم، وأنه في حالة انهيار كامل للأسعار، فإن خبيراً بارزاً في نيويورك يقول "دول الخليج هي الوحيدة التي تستطيع تحلّل هذه الأسعار، وأنه في حالة هبوط كبير في الطلب على النفط، فإن دول الخليج هي الوحيدة التي ستبقى في السوق، وأنه في حالة نزوب النفط حول العالم، فإن النفط الخليجي سيكون آخرها نضوباً".

من خلال الوضع الجديد، تهدف السعودية إلى إجبار روسيا وكل الدول الأخرى على تخفيض الإنتاج بالشكل المطلوب لتحيي التوازن في الأسواق. لهذا من الواضح أن الهدف ليس العودة إلى طاولة المفاوضات حالاً، وحسب مصدر في لندن تستهدف السعودية حالياً أسواق روسيا النفطية أيضاً كانت، خاصة سوقها الرئيسية في أوروبا. ومن المقرر أن تذهب أكثر الشحنات السعودية الإضافية إلى أوروبا أيضاً بالرغم من أن التسويق الإعلامي يوحي بتنسيق سعودي - أمريكي حول تخفيض الأسعار، لكن الضجة والغضب في قطاع النفط الصخري في تكساس يؤشران على العكس. أما الرئيس دونالد ترامب الذي يرتاح لخفض سعر البنزين وأثره الإيجابي على حملته الانتخابية، لا يود استدعاء لوبي النفط الداخلي ويحاول بناء موقف متوازن يسمح له بالاستفادة من خفض الأسعار لملء الاحتياطي الفدرالي من النفط بسعر منخفض واستمرار اختبار القوة الأساسي مع موسكو.

كما الحال منذ عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز والحقبة الذهبية لمنظمة أوبك، تستمر المملكة العربية السعودية بقيادة الملك سلمان وولي عهده الأمير محمد بن سلمان في السعي للخروج من حرب النفط الجديدة بأقل الخسائر الممكنة على المدى القصير، مع الرفع على مكاسب الحفاظ على الموقع والدور في سياق تنافسي آزاده البعض من دون قواعد. بالرغم من الضغوط الروسية وسعي البعض في الكونغرس لمعاقبة السعودية، تبدو الرياض مطمئنة لخياراتها في هذه المرحلة الدقيقة مما يضمن حقوقها وحقوق حلفائها، مع توجيه رسائل للرئيس دونالد ترامب وللحزب الديمقراطي الأمريكي ولكل من يراهن على ابتزازها أو ضرب مصالحها، أن العالم التعددي المرتسم أمامنا وحاجات الأسواق العالمية هي التي ستحدد بوضوح الاتجاهات في السوق النفطية.